الإنصاف في ذَمّ ونَبْذ التّفرّق والشّقاق والإختلاف ومَدْح والحَثّ على الوِحدة والأُخوّة والإئتلاف

2021-12-03

الحمد لله رب العالمين، أَمر بِالإجْتِمَاع وَالإئْتِلَافِ، وَنَهَى عَن التَّفَرُّقِ وَالإخْتِلَافِ، فسبحانه من إله جعل المؤمنين إخوة في الدين والإيمان، وشبههم في تعاونهم وتضامنهم وتناصرهم بالجسد الواحد والبنيان، وَأَشهد أَنَّ لَا إِلَهَ إلاَّ اللَّه وحده لَا شَرِيكَ لَهُ، ميَّز أهل السنّة بالتسليم لأدلّة القرآن المبين، ووفّقهم للإقتداء بسيّد المرسلين، صلى الله عليه وسلم في كل حين . وسدّدهم للتأسّي بصحبه الأكرمين، ويسّر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين، حتى اعتصموا من الكتاب والسنّة بالحبل المتين، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلِيلُهُ، دعانا إلى تحمّل المسؤوليّات. وحثّنا على حِفْظ الأمانات، وأوصى بالجماعة وكل ما فيه الهناء والصفاء والتشريف. وحذّر من الفرقة المؤدّية إلى العَناء والشقاء والتخويف.

هذا محمّدُنا للحقّ أرشَدَنا * ومِنْ بحار الرَّدَى والهُلْكِ أنقذنا
هذا الذي جاء بالحقّ الْمُبِينِ لنا * وأذهب الشِّرْك بالآيات والحُجَجِ

صلّوا على المصطفى ذي الْمَنْظَرِ البَهِجِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. الحاشر العاقب. الرفيع المكانة والجانب. وعلى آله الأجلّة الأطايِب. وصحابته الشجعان فرسان الكتائب. صلاة تَدفع بها عنّا جميع الشدائد والمصائب. وتَستر ببركتها ما ظهر منّا وما بطن من القبائح والمعائب. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. إنّ من أهمّ أصول الإسلام: الوحدة والإجتماع، وما حرص الإسلام على شيء بعد كلمة التّوحيد حِرصه على توحيد الكلمة، وما ندّد الإسلام بشيء بعد الإشراك بالله تنديده باختلاف

الأمّة وتفرّقها. وقد عبّر القرآن الكريم عن الوحدة بالإيمان، وعن التّفرّق بالكفر، فقال سبحانه في سورة آل عمران:((يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ)). أيْ: يردُّوكم بعد وِحدتكم وأُخوّتكم متفرِّقين متعادين. وذلك حينما تخاصم فريقان من الأنصار من الأوس والخزرج. فنادى هؤلاء: يا آل أَوْس. ونادى هؤلاء: يا آل خزرج; فاجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفّوا للقتال. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم . فقال صلى الله عليه وسلم:((يا معشر المسلمين. أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام. وقطع به عنكم أمر الجاهلية، وألّف بينكم. ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا، الله الله!!)). فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان. وكَيْد من عدوّهم. فألقَوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون. ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية. فكلُّ ما فرّق المسلمين وهدّد وحدتهم فهو راية جاهلية وجب التَّصدِّي لها. أيّها المسلمون. فقد نبّهنا الله في كتابه العظيم عن سبب هلاك الأُمم قبلنا، ألا وهو التّفرّق والإختلاف، وحذّرنا لئلاّ نقع فيما وقعوا فيه، فقال جلّ جلاله في سورة آل عمران:((وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)). وأكّد القرآن الكريم أنّ الفُرقة والإختلاف والتّنازع سبب لذهاب قوّة الأمّة, وهزيمتها، وزوالها، فقال سبحانه في سورة الأنفال:((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)). ودعا النّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم إلى الجماعة. فقد روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((يدُ اللَّهِ معَ الجماعةِ))، وله من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((إنَّ اللَّهَ لا يجمعُ أمَّتي أو قالَ: أمَّةَ محمَّدٍ صلَّى اللَّهُ علَيهِ وسلَّمَ علَى ضلالةٍ. ويدُ اللَّهِ معَ الجماعةِ، ومَن شذَّ شذَّ إلى النَّارِ)). وحذّر صلى الله عليه وسلم من التباغض والتّهاجر،

والتّشاحن، وفساد ذات البَيْن، ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((لا تَباغَضُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدابَرُوا، وكُونُوا عِبادَ اللَّهِ إخْوانًا، ولا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخاهُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أيَّامٍ)). وما تأكيد الإسلام على الوِحدة إلاّ لِمَا لها من مزايا وفوائد، ومن مزايا الوِحدة أنّها سبيل إلى القوّة، فالإتّحاد يُقوِّي الضُّعفاء، وهذا ما أشار إليه الحديث الشّريف. ففي صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((إنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. وشَبَّكَ أصَابِعَهُ)). وفي هذا المعنى يقول الشّاعر:

كونوا جميعاً يا بَنيَّ إذا اعترى * خَطْبٌ ولا تتفرّقوا آحادا

تأبى العِصِيُّ إذا اجتمعنَ تكسُّرا * وإذا افترقنَ تكسّرت أفرادا

والوِحدة عِصمة من الفتن والمهالك، فقد أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ، يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ، فَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ)). وما أكثر الذئاب البشرية التي تحيط ببلادنا وتترقّبها من قريب ومن بعيد، وتتربّص بها بكلّ مكر ودهاء لِافتراسها وتمزيق أَوْصالها، وإنّ أعظم ما تحطّمت عليه مخطّطات الأعداء قديماً وحديثاً هو تمسّك الأمّة الجزائريّة بإسلامها ووِحدة شعبها ففي ذلك قوّة وحصانة، أيّها المسلمون. يَتَّفِقُ الْعُقَلَاءُ مِنْ النَّاسِ عَلَى أَنَّ الِاجْتِمَاعَ وَالِائْتِلَافَ مَطْلَبٌ ضَرُورِيٌّ لَا غِنَى عَنْهُ لِأُمَّةٍ تُرِيدُ الفَلَّاحَ، وَقَدْ جَاءَ الشَّرْعُ بِالتَأْكِيدِ عَلَى هَذَا الأَصْلِ وَرِعَايَتِهِ، وَلَكِنَّ المَوَاقِفُ وَالأَحْدَاثُ والتنافسات قد تَعْصِفُ بِالنَّاسِ، وَقَدْ تُفْرِزُ اِخْتِلَافًا فِي الآرَاءِ وَالمَوَاقِفِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا بُدُّ أَنْ يَقَعَ مِنْ البَشَرِ، ولَكِنَّ الواجب علينا أن لا نجعل لهذا الإختلاف تمدّداً أو انتشارا أو اتّساعا، بل علينا أن ندفنه في مهده، ونُكبِّر عليه أربعا، ونتجاوزه ولا نلتفت إليه. يقَولَ الحق تبارك وتَعَالَى في سورة آل عمران:((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)). فالقُرْآنُ الكَرِيمُ

يُؤَكِّدُ عَلَى مُرَاعَاةِ الاِجْتِمَاع وَنَبْذ الفُرقة، والأَنْبِيَاءُ عليهم الصلاة السلام كانوا دُعَاةً لِوَحْدَةِ الصَّفِّ وجَمْع الكلمة، فقد روى مسلم وأحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:((إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا: فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ. وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ)). وَقَالَ سيّدنا عمَر الفاروق رضي الله عنه:((يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلِيَلْزَمْ الجَمَاعَةَ)). أيّها المسلمون. لَقَدْ كَانَ لِأَصْحَاب النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم اِعْتِنَاءٌ بَالِغٌ بِوَحْدَةِ الصَّفِّ، وَكَانَ الخِلَافُ فِي الرَّأْيِ يَحْصُلُ بَيْنَهُمْ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَتْ النُّفُوسُ صَافِيَةً نَقِيَّةً، إِنَّهَا النُّفُوسُ الَّتِي صَفَّتْ وَتَسَامَتْ عَلَى حُظُوظِهَا، فَلَمْ يَجِدْ الهَوَى بَيْنَهُمْ مكاناً، وإن مِنْ سِمَاتِ وصفات أَهْلِ الخَيْرِ والصلاح والفلاح حُبّ الاِجْتِمَاعُ وَالاِئْتِلَافُ، وَكُرْه أَسْبَابِ الفُرْقَةِ وَالخِلَافِ. مَصَالِحُ الاِجْتِمَاع لَا تُقَارَنُ بمفاسد الفُرْقَةُ، فقد أخرج أحمد، والبزّار والبيهقي في شعب الإيمان. عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْيَسِيرَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْجَمَاعَةُ بَرَكَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ)). أيّها المسلمون. معركة الإنتخابات قد انتهت. وقد صاحبها تنافسا نراه محمودا، وإن كان هناك بعض التجاوزات لكنها تختفي في خِضّم بحر من حسنات التنافس الشريف، بل ينبغي علينا أن نتجاوز تلك التجاوزات ونجعلها في سلّة مهملات الماضي، لكي نقف سويًّا على برّ التكاتف والتعاضد والتآلف، مرتقين بأخلاقنا وحُسن نوايانا لخدمة ديننا ثم دولتنا وولايتنا وبلديّتنا. فدِينٌ يجمعنا. ودولة توحّدنا. ومِلح القَرَبات يؤلّف بين قلوبنا. فلا جهوية تفرّقنا. ولا قبلية تزعزع وحدتنا. ولا انتخابات تؤرّق مضجعنا. أيّها المسلمون. إنّ المسؤوليّة أمانة سيُسأل عنها صاحبُها وحده يوم القيامة، وسوف يكون السؤال على قدر المسؤولية كبُرت أو صغُرت؛ وفي الحديث النبوي الصحيح ما يوضّح الصورة أكثر. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:((أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي

أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ ومَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)). وإن عامة الناس هم عيال الله، ويل لمن ضَرَّ منهم أحدًا، أو ظَلَم أحدا، فعلى المسؤول أن يكون مخلصا لهم لا متخلِّصا منهم، بارًّا بهم لا ضارًّا بهم، معتنيًّا بمصالحهم، لا مستغِلاًّ لمصالحهم، حتى يحبه الله تعالى؛ فقد روى البيهقي في شُعب الإيمان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلَّم قال:((الخَلقُ عيالُ اللَّه، فأحبُّ الخلقِ إلى اللَّهِ مَن أحسنَ إلى عيالِهِ)). يقول المولى جلّ جلاله في سورة الحج بقوله:((الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)). والمسؤولية ليست كُرَة يتقاذفها اللاّعبون. إنّما هي أمانة يتحمّلها الأشدّاء من الرجال والنساء على السواء، إنّها أمانة ويوم القيامة خِزي وندامة إلا مَن قام بحقها. نسأل الله تعالى أن يعيننا على القيام بمسئوليّاتنا خير قيام، وأن يوفّقنا لِمَا يحب ويرضى. وأن يأخذ بنواصينا إلى كل خير. كما نسأله تعالى أن تَجتمع قلوبُنا وآراؤنا وأهدافنا على توحيد صَفِّنَا فِيمَا يُرْضِي ربنا، ثم عبادِهِ الصَّالِحِينَ، وَوُفُوقًا وَتَعْزِيزًا لبلدنا وولاّة أَمْرِنَا ومشايخنا وعلمائنا، اللّهم من أراد ببلادنا الخير والصّلاح فسدِّده، ووفِّقه، ومن أراد لها الشّرَّ، والفساد فاخذُله وافضحه، وخُذْه أخذ عزيز مقتدر. اللّهمّ أصلح شبابنا من الأفكار الدّخيلة، والأفعال الشّنيعة، والسُّلوكات المشينة، واجعلهم ذخراً للإسلام والوطن، وارفع بهم راية النّصر والمجد. اللهمّ زد شعب الجزائر أخوة ولُحمة وتضامنا، وألِّف بين أبنائه، وخذ بأيديهم إلى ما فيه خير البلاد والعباد وعزّ الإسلام والمسلمين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ